لا اذهان قال الحسن اما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شيء
فقاموا بالصلوة والزكوة واقام الصلوة اتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع فيها من الاركان
والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل في شيء منها لا يكون مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو
الفا فاجتمع الفان فحذفت احديهما لالتقاء الساكنين فبقي اقام ثم ادخلت الهاء عوضا عن المحذوف
وقيل المراد بذكر الله الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به ما يتناول جميع ما يتضمن
ذكره تعالى وتخصيص اقامة الصلوة وايتاء الزكوة بعد التعميم لتعظيم شانهما لكونهما اهم اقسام
ذكره تع قوله تخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من مفعول لا تلهيهم
ويوما مفعول به لا ظرفا على الاظهر وتتقلب صفة ليوما قوله وتخصيصه يعني تخصيص الظمآن
بالذكر مع ان جميع ما نظر اليه سواء كان ظمآن او ريان يظنه ماء جاريا لان من ليس
بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل خيبة عما احتاج اليه بخلاف العطشان فانه يصير خائبا
عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه اذا كان ما اتى به في الدنيا من اعمال البر كصلة الرحم
وقرى الضيف واعتاق الرقاب واراقة الدماء ونحو ذلك مما يعتقد ان له ثوابا عليه
فهو لا يستحق الثواب عليه وان كان من افعال الاثم فيستحق عليه عقابا مع انه يستحق عليه ثوابا
فكيف ما كان فهو يعتقد ان له ثوابا عند الله تع فاذا وافى عرصة القيمة ولم يجد الثواب الذي احتاج
اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبه حاله حال الظمآن الذي اشتدت
حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد تعلق قلبه به ويرجو به النجاة عما هو فيه
ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجده شيئا مما حسبه وهو الماء فيعظم عليه ذلك فيزداد
خيبة وحسرة وهذا المثال في غاية الحسن قوله لم يجده شيئا مما ظنه اشارة الى
ما يقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئا وقوله لم يجده شيئا ينفي انه
قوله استعراض اي يوفيه الله تعالى حسابه بان تعرض له اعرض على ما عملته وما ادخرته ليوم
واما مجازاة على اعماله بان يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله مما حسبه خيرا يعود عليه شرا
عبثا لانه تعالى ابطله بكفره ولما طمع فيه ثوابا اعقبه اعقابا قوله ويسلس الهوى فيصل
من رس البحث في الفؤاد اي ثبت فارسيس الشيء اثباته اثبات لا يتمالك عما لقيه وبالجملة ما يصدر
عن الكافر من العقائد والافعال والاقوال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه
وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقائد
والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يهتدي بقلبه ولا بسمعه و
لا يبصره الى ما هو الحق المقبول عند الله ولا يدري الحق ولا يدري انه لا يدري ولا يعتقد

يعتقد انه يهدى فيشتد اصراره على ما هو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات
فيكون كالواقع في قعر البحر ذي اللجة التي هي معظم الماء الغمر البعيد القعر يغشاه اي يعلو
ذلك البحر اللجي موج من فوق ذلك الموج موج اخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان من هذه
الظلمات يكون حاله خلاف من احاط به توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل
العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع بسيرة العلماء الصالحين فكانوا في
نور على نور قوله الم تعلم يعني ان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لا
يتعلق به رؤية البصر والكلام وان كان صورة الاستفهام الا ان المراد به التقرير اي
قد علمت وتيقنت بالوحي والاستدلال وعبر عن العلم بالرؤية للدلالة على ان المتصور
تقرير العلم التاول منزلة المشاهدة والعيان في الوثاقة والايقان وحمل من في السموات والارض
على اهلهما مطلقا في العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن المعلوم ان اهلهما مطلقا لا ينطق
بالتسبيح ولا يتكلم به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها من النقائص بلسان المقال
او الحال قوله والملائكة عطف على قوله اهل السموات قوله بما يدرك متعلق بقوله ينزه
ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان يكون كلمة من لا يتم العقلاء وغيره لكونهما اظهر دلالة
على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته قوله اي قد علم الله على ان يكون علم مسندا الى ضمير اسم الله
تعالى ويكون ضمير صلوته وتسبيحه راجعين الى كل ويكون المعنى كل جنس من المذكورين
قد علم الله صلوته اي دعاءه وسؤاله لما يحتاج اليه كيف يصلي ويسأل وتسبيحه كيف
يسبح ويؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى في قوله والله عليم بما يفعلون اي بما يفعله الحيوان
اختيارا والجماد طبعا من الصلوة والتسبيح وغيرهما قوله او علم كل على ان يكون الضماير كلها
راجعة الى الكل والمعنى كل قد علم صلوة نفسه وتسبيحها على معنى انهم يعلمون ما يجب عليهم
من الصلوة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعية بان يشبه دلالة كل واحد من
المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم الى النفع اختيارا او
طبعا بعلم التسبيح والصلوة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة
واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون ضمير
علم راجعا الى كل وضميرا صلوته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من الاجناس قد علم صلوة
الله وتسبيحه روي عن ابي ثابت انه قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي اتدري
ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه
قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك قالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء

Copyright © King Saud University